الفصل الرابع

رحلة علمية من سفارة إلى قرية بني حسن

هذه الرحلة لا تكاد مصاريفها تبلغ الخمسين قرشاً إذا توجهنا بطريق السكة الحديدية إلى هذه القرية بدون أن نرى شيأ غيرها مع الإقتصاد في النفقة.

كيلومتر

٢٣ من بولاق مصر إلى البدرشين.

٦٤ من البدرشين إلى محطة الوسطى.

٢٨ من محطة الوسطى إلى بني سويف.

٣٠ من بني سويف إلى القيس.

٤٧ من القيس إلى أبي جرجز

٢٠ من أبي جرج إلى قلوصنا.

٣٦ من قلوصنا إلى المنيا.

٢٣ من المنيا إلى بني حسن.

٢٧٧١

فإذا توجهنا من قرية سقارة إلى الجنوب قاصدين قرية بني حسن فإننا نرى أولًا أهرام دهشور الواقعة على بعد ثلاثة أميال ونصف من هرم أوناس وهي ستة أهرام أربعة منها مبنية بالأحجار واثنان باللبن (الطوب النيء) وارتفاع أكبرها نحو ٣٢٦ قدماً وطول قاعدته عند الجلسة نحو ٧٠٠ قدم وقد اهتمت مصلحة الآثار الآن بكشف المقابر التي تلك الجهة.

وفي سنة ١٨٩٤ انكشف للمعلم (مرجان مدير المتحف المصري بئر يبلغ عمقه نحو تسعة أمتار وفي قاعه سرداب يتجه إلى الغرب يبلغ طوله نحو مائة متر به سرداب آخر وجملة درجات تفضي إلى دهاليز صغيرة بها مقاصير تشتمل على توابيت بعض نساء ملوك العائله الثانية عشرة

وكان معهن تلك اللقية العظية المصوغة من الذهب والأحجار الكريمة وهي بالمتحف المصري الأن وفي ٢٨ من شهر نوفمبر من السنة المذكورة انفتح الهرم الذي بجوار تلك البئر بواسطة سرداب صناعي يسلك من قاع البئر إلى الهرم ولما دخلته مع حضرته وحدت به سرداباً وجملة غرف تتصل ببعضها وفي ناحية منها رواق الملك وتابوته غير أن لصوص الفراعنة سرقوا جثة ملكهم وفتحوا بعض المقاصير ولم يتركوا شيأ يستدل منه على اسم الملك بانيه.

أما مغارات جبل طره والمعصرة الواقعة في الجبل الشرق فكانت مقاطع للأحجار التي بنيت بها الأهرام قبل الآن بأكثر من ستة آلاف سنة وسبب عمقها بهذه الحالة هو أن مهندسي ذلك العصر كانوا يشقون فطوراً عميقة في الجبال حتى يصلوا إلى الاحجار الموافقة لهم وربما بلغ طول بعضها جملة مئات من الأمتار ويرى على كثير منها نقوش قديمة تدل على أن الملك (أحميس) و (أمونوفيس الثالث من العائلة الثامنة عشرة) وغيرهما أخذوا من مقاطعها أحجار البناء ما يلزم لمعابدهم والظاهر أن لفظة طره مشتقة من لفظة (تروا) اوهي مدينة عظيمة كانت بآسيا الصغرى وخربها اليونان في حروب المشهورة فجاء بعض من هاجر من أهلها إلى هذا المكان وقطن به وسماها بهذا الاسم والله أعلم بحقيقة الحال.

ثم نمر بهرم ميدوم الواقع في الجبل الغربي أمام محطة الوسطى بمديرية بني سويف ويعرف عند العامة بالهرم الكاذب وأظن أن هذه التسمية أتت له من أن السائح يراه من مسافة بعيدة جداً وكلما دنى منه أو نأى عنه رآه كأنه يسير معه أينما سار فكأنه والحالة هذه يكذب في عين الرائي كما أطلقوا اسم البحر الكاذب على السراب أو الآل الذي يظهر بالصحراء وقت القيلولة كالبحر وقال بعضهم أنه سمي بذلك لمخالفة بنائه لباقي الأهرام وليس ذلك بشيء أما ارتفاعه فيبلغ ١١٥ قدماً ويتركب من ثلاث درجات ارتفاع الأولى ٧٠ قدماً والثانية ٢٠ والثالثة ٢٥ وهو مع تطرف الأيام إليه بالدمار لم يزل بحالة حسناء وكل من رآه من بعد جزم أنه مبني على ربوة عظيمة وهي الحجر الذي سقط من كسوته فكم بنيت منه عمارات لسكان تلك البلاد المجاورة له حتى صار الآن كنواة بلا فاكهة ولما فتحه العلامة مسبرو في شهر فبراير سنة ١٨٨٢ وجد بابه من جهة الشمال مرتفعاً عن سطح الأرض بنحو ١٥ متراً وسرداب المدخل مربع القاعدة والارتفاع أعني متراً في مثله يمر أولًا بوسط البناء نحو عشرين متراً ثم يدخل في الأرض الصخرية ويغوص فيها ثلاثة وخمسين متراً عمقاً ثم يسلك أفقياً واثنى عشر متراً ويستقيم رأسياً نحو ستة أمتار ونصف وينتهي بحجرة أو مغارة منحوتة في الصخر بلا هندام خالية من كل شئ

وقال المعلم المذكور لما فتحت هرم ميدوم ودخلته وجدت فوق الحجرة الملوكية أخشاباً وجمالًا عتيقة جداً علمت منها أن اللصوص سرقوا جثة الملك في مدة الفراعنة لأني وجدت على جانب السرداب بقرب باب الهرم كتابة بربائية بالمداد وبإستقرائها ظهر لي اسمان عجيبان فعلمت من تركيبهما ومن قاعدة الخط أن هذين اللصين دخلا الهرم وسرقا صاحبه في مدة العائلة العشرين ومن الأسف أنهما لم يتكرما علينا بذكر اسم من سرقوه وكأنهما لم يرونا نستحق أن نعرفه ولسنا أهلًا للوقوف على أخباره أما ما ذكره ماريت باشا من أنه الملك سنفرو (بالعائلة الثالثة) فلايعتديه لأنه اعتمد في ذلك على حجر عثر عليه في أحد المقابر القريبة من هذا الهرم منقوش عليه هذا الاسم ولايبعد أن يكون هذا القبر لأحد الكهنة الذين كانوا لهذا الملك كما أني وجدت هذا الاسم بكثرة في مقابر سقارة وغيرها أما صاحب الهرم فيغلب على ظني أنه الملك أمنما الثاني (من العائلة الثانية عشرة) اه لكن يظهر من الأسماء التي وجدت منقوشة على الحلي الذي وجد في سنة ١٨٩٤ بجبل دهشور أن أهرام هذه الجهة كانت معدة لدفن ملوك العائلة الثانية عشرة ولعل المستقبل يكشف لنا عن حقيقة أمره وفي سنة ١٨٧٢ وجد بجوار هرم ميدوم التمثالان العجيبان وسيأتي ذكرهما عند الكلام على الدور الأول في الباب الثامن.

أما قرية اهناس المدينة فهي من المدن القديمة التي بمديرية بني سويف وتعرف قديماً باسم هرقليوبوليس وهي واقعة على الشاطئ الغربي من النيل وكانت عاصمة الديار المصرية مدة العائلة التاسعة والعاشرة كما أسلفنا وكان أهلها يعبدون النمس وليس بها الآن سوى أطلال قديمة متهدمة وآثار معبد أتت عليه الايام وعلى نحو الساعتين منها هرم اللاهون وبجواره مقبرة التماسيح المحنطة وهو للملك أمنما الثالث من العائلة الثانية عشرة ثم هرم هوارة المقطع وهرم سيلا وكلها بالفيوم التي اشتق اسمه من لفظة بابوما ومعناها الماء الواسع وهي مركبة من أداة التعريف (با) ومن (يوما) ومعناها البحر ولعل لفظة اليم محرفة عنها وفي هذا الإقليم أطلال مدينة فارس وتعرف عند اليونان باسم كروكوديلوبوليس (**crocodilololis**) أي مدينة التمساح لأن أهلها كانوا يعبدونه وكان به بحيرة موريس وسراي التيه أو البرية (راجع تاريخ مصر مدة العائلة الثانية عشرة) فإذا غادرنا هذه الجهة وتوجهنا إلى مديرية المنيا رأينا جبل الطير الواقع في جنوب قلوصنا وبه الدير المعروف بدير البكرة سمي بذلك لأنه على قمة الجبل وليس له طريق يسلكه الإنسان وأهله يستعملون الحبل والبكرة في صعودهم وهبوطهم وبه طائفة من رهبان القبط يشتغلون بعمل الأحذية والمداسات وكان من عادتهم أنهم متى رأوا سفينة شراعية أو بخارية انقضوا

في الماء وسبحوا في اللجة إليها ولهم أصوات مزعجة وصراخ هائل مصدع ومتى دنوا منها تكففوا الصدقات بالحاح والحاف وربما صمدوا فيها وهم عراة الأجسام مكشوفو العورة غير أنهم أقلعوا الآن قليلًا عن هذه العادة القبيحة ثم نصل إلى قرية الشيخ حسن والمطاهرة وطهنة وبها من الآثار ومقاطع الأحجار ما يدهش العقول سيما قرية الشيخ حسن ثم نمر بقرية زاوية الميتين القريبة من المنيا ومغاراتها من عمل العائلة السادسة ونقوشها في غاية الأحكام تخبرنا بأحوال الفلاحة والملاحة والمواسم الدينية وغير ذلك ثم نصل إلى قرية بني حسن الواقعة في جنوب هذه المديرية وقد اشتهرت بمقابرها المنحوتة في الجبل شمال القرية المذكورة بنحو ثلاث كيلومترات تقريباً وكلها في نحو ثلثي الجبل وعتب أبوابها في مستوى واحد تقريباً متجهة إلى الغرب ويبلغ عددها خمسة عشر أعظمها اثنان جهة الشمال وتاريخ صنعها يصعد إلى نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح عليه السلام ولهذه المقابر مشابهة بمقابر سقارة المعروفة باسم المساطب أعني أنها تشتمل على رواق كبير وبئر محفورة بوسطه أو في ناحية منه تصل بحجرة أو مغارة للحد أما تفصيلها فغريب جداً يكبر في عين مهرة المهندسين المعماريين وسقفها ليس مستوياً بل مقبي قليلًا ومخلق به ما يشبه الكمرات التي تكون في السقف عادة لنحمل حائطاً من فوقها وهي والسقف والعمد قطعة واحدة من الحمل ورأيت بعض العمد مكسورة ونصفها الأعلى مدلي في الفراغ لأنها قطعة من السقف وشكلها غريب جداً ولبعضها ستة عشر سطحاً وبعضها عبارة عن جملة عمد رفيعة ملتصة ببعضها غليظة من أسفلها دقيقة من أعلاها بها جملة أحزمة كالمحابس تجمعها ببعضها ثم تأخذ في الغلظ ثانياً وتنتهي بتيجان متنوعة منها ما هو على شكل باقات الأزهار وما هو على شكل البشنين أو النواقيس المنعكسة وما هو مستدير وله أفاريز مخلقه منه وغير ذلك وللقبر الشمالي مشابهة قوية بعمارة اليونان القديمة وما أشك في أنهم يعلموها من المسريين كباقي علومهم القديمة وارتفاع أساطينه ١٧ قدماً وحيطان بعض المنابر كانت شات مغشاة بالجبس مصقولة وعليها لون يميل للحمرة يشبه حجر الجرانيت والظاهر أنها كانت جميعها مكتوبة ومحيت لتقادم العهد وكان القبر الشمالي لرجل يدعى (أمني أمنمحا) وتاريخه منقوش على وجهتي الباب قبالة الداخل يعلم منه أنه كان قائد الجنود المشاة أيام الملك أوزرتسن الأول (من العائلة الثانية عشرة) وأنه توجه مع ابن هذا الملك لغزو بلاد (أبو) وبلاد (أثيوبيا) وكان حاكماً على إقليم (مح) الكائن بجوار المنيا وقد بذل جهده في حسن إدارة بلاده حتى نال رعاية الملك سيده كما أنه كان رئيساً على الكهنة وهناك بعض عباراته (قد أتممت كل ما عزمت عليه وما نطقت به وأني حاكم

شفوق محب لوطني أدير أشغال المعبد بنفسي إلى أن قال وما أحزنت طفلًا ولا نحبت الأرامل وما جبرت الشغالة على الشغل بالقهر وما قفلت بيت راع ولا كان مسكين ولاجائع في زمني ولما حل القحط بمصر بادرت بحرث الأرض في جميع إقليم (مح) حتى أخصبت بمهارتي واقتات الناس وكنت أمدهم بالميرة والطعام وأعطى الأرملة مثل المتزوجة ولا كنت أفضل الجليل على الحقير ولما عم الفيض وكثر الخير صار الفلاح في نعمة تامة لأني لم أثقل كاهله بالخراج انتهى بإختصار) ويرى بالرواق صورة الفلاحة والقتال وأشغال النساء المنزلية على إختلافها وكلها مرسومة بغاية الدقة والإتقان الدالة على سمو الصناعة في ذلك العهد.

القبر الثاني لرجل يدعى (خنوم حوتب) كان معاصر الملك (أمنمحا الثاني من العائلة الثانية عشرة أيضاً) ونقوش هذا القبر عجيبة جداً غير أن يد الدهر والزائرين تحالفا على إتلافها وتاريخه منقوش على أسفل الحائط يستفاد منه أن أباه وأمه وأجداده كانوا من مدينة منعت خفو (منية ابن خصيب) وكان هو أيضاحا كما على اإقليم (مح) مثل سالفه وكان أبوه حاكماً على الأرض الشرقية التابعة لهذه المدينة ويقال أنه من ذرية (أمني أمنمحا) السالف الذكر ويرى بالرواق صورة الألعاب الجمبازية وهي المصارعة وغير ذلك وعلى الحائط الشمالية صورة نادرة من أعجب ما يرى غير أن يد التلف أخذت تعبث بها في كل يوم وهى وفود جماعة من الأجانب في الأنوف جداً ولهم لحاء سود مرسلة دقيقة من أسفلها ومعهم نساؤهم وأولادهم يقودون حميراً وتيوساً وغزلاناً وبعضهم يحمل نشاباً وحراباً ومساوق أو محاجن ومعهم رجل يضرب على آلة كالعود وأمام الجميع كاتب الملك المدعو (تفرحوتب) واقف وبإزائه كتابة يستفاد منها أن في السنة السادسة من حكم الملاك أوزرتسن الثاني وفد سبعة وثلاثون شخصاً من قبائل (عامو) وأحضروا معهم حقاً من الأثمد (الكحل) وقدموه إلى (خنوم حوتب) ولهذا الوفد ملابس ملونة والظاهر أنهم أتوا من شرق أرض فلسطين وظن بعض المؤرخين أن هذه الجماعة هي أولاد يعقوب عليه السلام حينما أتوا يشترون البر من مصر ولكن لا برهان لهم على ذلك وقال بعضهم أنهم جماعة من العمالقة أتت إلى مصر لتستوطن بها وعلى كل حال فهم أول من نزل مصر من الأجانب ولم يهتد أحد لسبب مجيئهم لداعي سكوت الآثار عنهم وقال ماربيت باشا هذا الوفد كان عله اغارة العمالقة على أرض مصر وها هي ذريتهم قاطنة إلى الآن على شواطئ المنزلة وصنعتهم صيد السمك وقنص الطيور وهم الذين هزموا جيش مروان الجعدي (آخر دولة بني أمية) وجيش المأمون (السابع من خلفاء بني العباس).

وفي جنوب هذه المقابر على مسافة ٤٠ دقيقه مقبرة واسعة جداً كانت معدة لدفن القطاط المقدسة المحنطة الباقية بها إلى الآن وأخبرني عمدة الناحية أن أحد الشركات أخذ منها آلاف مؤلفة شحن بها جملة سفن ليحولها إلى سماد (سباخ) ويوجد على نحو الخمسة عشر دقيقة إلى الشرق مغارة تعرف عندهم بإسطبل عنتر واسمها باليونانية (سيبوزارتميدوس) منحوتة في الجبل وهي من عمل الملك (طوطوميس الثالث من العائلة الثامنة عشرة) ووسعها الملك (سيتى) الأول أبو رمسيس الثاني من (العائلة التاسعة عشرة) بعدما مضي عليها ٢٥٠ سنة وأرصدها للمعبودة (سخت) وكان بها صفان من العمد في كل واحد أربعة وإتساعها ٢١ قدماً في مثلها ويظهر أن المحراب الذي بها كان معداً لوضع هذة المعبودة به وبهذه المغارة كثير من النقوش والكتابة والمعبودات وبجوارها كثير من المقابر المتخذة في الجبل ولا فائدة في رؤينها إنتهى بإختصار.